مسجد الكوفة الجامع
التطور العماري مع دراسة مقارنة للعمارة الحالية
مع الروايات التاريخية لتخطيط وعمارة المسجد

م. نبيل عبد الحسين راهي
جامعة الكوفة
كلية الآثار

المقدمة :

ان مسجد الكوفة يحتل مكانة خاصة من الجانب التاريخي والاثاري كونه من المساجد الاولى التي بنيت خارج الجزيرة العربية في الاسلام ، فضلا عما يمثله من مكانة روحية لكافة المسلمين في العالم بالوقت الحاضر ، وارتباطه بحوادث كبيرة شهدها التاريخ الاسلامي ، اضافة الى دوره الكبير والمتميز في تطور الحركة العلمية حيث كان لمسجد الكوفة دورا بارزا في التعليم كون المساجد في عصور مختلفة كانت مراكز للتعلم وطلب العلم ومثلت دور الجامعات في وقتنا الحاضر قبل انشاء المدارس العلمية المستقلة في العصر العباسي الاخير كما هو معروف. وانطلاقا من هذه الاهمية الروحية والسياسية والعلمية التي اتسم بها مسجد الكوفة تعرض للكثير من التجديد والتعمير والاضافات البنائية منها ما شمل المسجد باكمله وادى الى تغيير ملامحه العمارية ومنها ما اقتصر على بعض الاماكن منه . وفي وقتنا الحاضر تعرض المسجد لاعمال ترميم جزئية الا انها غيرت في ملامحه العمارية ومنها ما شمل المسجد باكمله مما ادى الى ضياع هويته التاريخية واهميته الاثرية كما سنلاحظ ذلك من خلال البحث . قسم البحث الى ثلاثة محاور مقدم لها بتمهيد عن تمصير مدينة الكوفة ، المحور الاول يتناول المسجد من التأسيس في العصر الراشدي الى نهاية العصر العباسي ، اما المبحث الثاني فينفرد لدراسة حالة المسجد خلال الفترة الايلخانية كونها التي اعتمدت كأساس للعمارة الحالية لذكرها بشكل مفصل من قبل الرحالة كما انها تمثل العمارة التي وصلت لنا بعض عناصرها العمارية ومنها لازال قائما كالسور الخارجي والابراج التي تدعمه ، والمحور الثالث خصص لدراسة العمارة الحالية .

الكلمات المفتاحية : الكوفة ، المسجد ، الجامع ، الروايات التاريخية ، الآثار ، التنقيبات .

تمصير مدينة الكوفة واختيار موضع المسجد الجامع :

مصرت الكوفة سنة ١٧ هـ ٦٣٨م [١]، أي بعد انتقال سعد بن أبي وقاص من المدائن عاصمة الدولة الساسانية إلى موقع مدينة الكوفة [٢] ، وذكر الطبري ان سعداً انتقل إليها ليتخذها دار جهاد وهجرة للمسلمين [٣]، ومعنى هذا أن الدافع العسكري كان وراء اختيار

موضع مدينة الكوفة .

عندما اتجه سعد إلى موضع المدينة لتخطيطها، اتجه أولاً إلى اختيار موضع للمسجد الجامع بها ودار للامارة متصلة به وبيت للمال ، وجميعها تؤلف قسماً من أقسام هذه المدينة له كيانه الخاص المستقل به، ثم حدد المخططون بعد ذلك الطرق والمناهج والسكك ، والدور والمحلات والاسواق والمساجد ومسجد السهلة والجبانات ومقبرة جماعية لأهل الكوفة سميت (ثوية الكوفة) [٤] ، ومن الذين أشرفوا على التخطيط بإذن الخليفة عمر بن الخطاب فيقول الطبري : ((كتب عمر على تنزيل أهل الكوفة ، أبو الهياج بن مالك وعلى تنزيل أهل البصرة ، عاصم بن الدلف أبو الحرباء)) [٥] .

ويقول الطبري عن بداية التخطيط في الكوفة ، كان من القصب كما يبين ان اعتماد التخطيط يشابه تخطيط مدينة الكوفة وفيه الاتفاق أكثر من الإختلاف وكانت البصرة قد مصرت قبل عامين ، أي يعني كلاهما في زمن وعصر واحد ، فيقول الطبري في روايته : ((قالوا لما نزل سعد الكوفة ، واستقروا أهل الكوفة واستقرت بأهل البصرة الدار عرف أنفسهم وثاب إليهم ما كانوا فقدوا ، ثم ان أهل الكوفة استأذنوا في بنيان القصب ، واستأذن فيه أهل البصرة ، فقال عمر : العسكر أجد لحربكم وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم وما القصب قالوا (العكرش) اذا روى قصب فصار قصباً قال : فشأنكم فابتنى أهل المصرَين بالقصب، ثم ان الحريق وقع بالكوفة والبصرة، وكان أشدهما حريقاً الكوفة، فاحترق ثمانون عريشاً ولم يبقى فيها قصبة في شوال ، فما زال الناس يذكرون ذلك فبعث سعد منهم نفراً إلى عمر يستأذنون في البناء باللبن فقدموا عليه بالخبر عن الحريق وما بلغ منهم وكانوا لا يدعمون شيئاً ولا يأتونه إلا وأوامرّوه فيه فقال: افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطالوا البنيان وألزموا السنة تلزمكم الدولة، فرجع القوم إلى الكوفة . وعهد عمر إلى الوفد ومقدم إلى الناس أن لا يرفعوا فوق القدر قالوا وما القدر قال مالا يقربكم من السرف ولا يخرجكم من القصد))[٦] .

(١) المسجد :

أن أول شيء اختط في الكوفة هو المسجد الجامع وكان اختياره واختطاطه في موضع وسط من المدينة ، وكان لا يبعد عن الفرات إلا بمقدار كيلومتر ونصف ، ولما انتهى الأمر كله أنشأ المخططون يقطعون القطائع والدور للصحابة والجند ويقول اليعقوبي ((إن كل قبيلة اختطت المكان الذي خصص لها)) [٧]. ومما يؤسف له ان لم يعرض لتخطيط مسجد الكوفة من المؤرخين سوى البلاذري [٨] رواية عن تخطيطه ، وكشف لنا الطبري عن الطريقة التي تم بها بناء هذا المسجد ، وهذا ما أتطرق إليه . فيقول الطبري عن الطريقة التي تم بها بناء مسجد الكوفة: ((قام رجل في وسطه رام شديد النزع ، فرمى عن يمينه فأمر من شاء ان

يبني وراء موقع ذلك السهم ، ورمى من بين يديه ومن خلفه وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين ، فترك المسجد في مربعة ، علوه من كل جوانبه ، وبنى ظلة في مقدمه ، ليست لها مجنبات ولا مؤخرة والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيماً لحرمته وكانت ظلته مائتي ذراع على أساطين رخام . . . وعلموا على الصحن بخندق لئلا يقتحمه أحد ببنيان . . .)) [٩] .

ويستدل من النص أن المسجد حين خط ، لم يكن له سور يحميه حتى ان الجالس فيه كان يرى من يمر بجواره ويشاهد دير هند على الخندق وهذا ما يؤكد أنه غير مسوّرة [١٠] . اما المساحة التي كان يشغلها مسجد الكوفة عند تخطيطه الأول فأن الطبري لم يذكر شيئاً عنه . وحدد جدار قبلته باتجاه الجنوب ، وتحديد هذا الجدار له من الاهمية البالغة في بناء المسجد فبدون تحديد هذا الجدار لا يمكن تخطيط المسجد بجملته او جزئياته لان جدار القبلة يمثل المرتكز الاساس في التخطيط الذي يستند عليه مكونات المسجد التخطيطية الاخرى[١١].

العمارة الاولى: خلال هذه العمارة لم يكن للمسجد جدران كما اسلفنا عنها وهذا على حد ذكر رواية الطبري لها[١٢]. وبنى في مقدمته صفة على رخام للاكاسرة يذكر انه جيء بها من الحيرة وكان قدرها مائتي ذراع لاجتماع الناس عليها كي لا يزدحموا ولم يكن للمسجد مجنبات ولا مواخير[١٣]. وظل على وضعه هذا الى زمن معاوية [١٤]. ولم يتعرض الى مساحة المسجد احد من المؤرخين عند تخطيطه الاول عدا ياقوت الحموي الذي اعطى مساحة تقريبية له بقوله ((كتب عمر بن الخطاب الى سعد بن ابي وقاص: ان اختط موضع المسجد على عدد مقاتليكم فخطه على اربعين الف انسان [١٥] .

المسجد في العصر الاموي :

تعرض المسجد خلال العصر الاموي الى تغييرات وتجديدات وزيادات غيرت من ملامحه وهياته الاولى ، ففي بداية العصر الاموي عندما عين المغيرة بن شعبة بن ابي عامر بن مسعود الثقفي والياً بالكوفة ايام معاوية بن ابي سفيان سنة ٤١هـ/ ٦٦١م ، فقد زاد فيه الا انه لم يكمل ما بدأه واكمله بعده الوالي زياد بن ابيه [١٦]. عمارة زياد وهذه العمارة التي اكملها بعد توليه الكوفة بعد المغيرة حيث زاد بنائه عشرين ذراعا وبناه بناءاً ضخماً فجعل له جدراناً كان ارتفاعها ثلاثين ذراعاً وابواباً. وجيء برخامه من جبال الاهواز فصرف عن كل اسطوانة الفاً وثمانمائة [١٧]. ثم سقفت هذه الاسطوانات وجعلت ومؤخرا فيكون اثبت له، وهذا قول زياد حول ذلك: هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني اليها ولم تعيرها [١٨] (مخطط رقم ١) . واتخذ زياد لنفسه مقصورة في المسجد [١٩].

ويعتقد انه اتخذها حين حصبة اهل الكوفة [٢٠].

ويذكر ياقوت ان الحجاج اعاد بناء بعض جدران المسجد حين تهدمت وخص منها الحائط المجاور لدار المختار بن عبيد الله الثقفي وذلك سنة ٧٥ هـ[٢١] . ثم احدث بعده الوالي خالد بن عبد الله القسري سنة ١٠٥ هـ ٧٣٢ م بعض التجديدات في المسجد ولكن غير محدد .

ويبدو من هذه النصوص ان تجديدات وتغييرات او زيادات احدثت في المسجد في العصر الاموي قام بها الولاة الامويون ، لكن هذه النصوص لا تقدم لنا شواهد مادية نستطيع ان نحدد من خلالها هذه التجديدات لان معظمها قد ضاع او تهدم . الا ان البحث الاثري كشف عن اسطوانة من الحجر التي بناها الامويون، وقد وضعت هذه الاسطوانة في وسط المسجد امام محراب النبي. وعثر ايضاً على تاجين لعمودين يدل شكلهما و اسلوب حفرهما والزخارف المحفورة وهي عبارة عن اوراق (الاكانتس) انهما يعودان الى العصر الاموي ، وهما لا يزالان داخل المسجد ويعدان من اقدم تيجان الاعمدة المكتشفة لحد الآن[٢٢] (صورة رقم ١) .

الفترة الايلخاتية (٦٥٦هـ – ٧٣٨هـ / ١٢٥٨م – ١٣٣٨م) :

قامت الدولة الايلخانية المغولية في العراق بعد ان فتح هولاكو بن تولي خان المعروف بايلخان بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م وبعد وفاته سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م تولى الحكم ابنه اباقا خان الذي قام باصلاحات عمارية مهمة واعاد بناء العديد من الجوامع ، ومن زمن هذا الحاكم وبعده من الحكام دخلوا الاسلام وكان اولهم السلطان احمد خان (تكدارخان بن هولاكو) ، وانتهت سلطة الايلخانيين على العراق بعد هزيمتهم امام الجلائريين سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٨م ، بعد ان حكموا زهاء ثمانين[٢٣] .

وقد اعتنى الايلخانيون بمسجد الكوفة بعد ان ناله الاهمال طيلة العصر العباسي ومن اهم ما وصلنا من عمارة هذه الفترة جدران المسجد الحالية فيرجع انها تعود الى العصر الايلخاني وهي مدعمة بابراج نصف اسطوانية ، وهناك مجموعة من العناصر العمارية التي ازيلت من فترة قريبة منها المدخل الرئيس للمسجد المعروف بباب الثعبان في طرف جدار المؤخرة تعلوه مئذنة اسطوانية ذات شرفة واحدة يؤدي الى اعلاها درج حلزوني وقد ازيلت هذه الماذنة سنة ١٩٥٦م [٢٤] وغيرت ملامح المدخل ، (صورة رقم ٢) ، اما الاجر الذي بني به المسجد في هذه الفترة والذي لازالت جدرانه مبنية منه فهو اجر مربع قياس ٣٧×٣٧×٩سم وهو نفس قياس الاجر الذي بنيت به دار الامارة ، وربما سبب ذلك ان الاجر الذي بني به المسجد في هذه الفترة منقول من دار الامارة[٢٥].

اما طول اضلاعه الاربعة تختلف بعضها عن البعض قليلا وهي على التوالي فطول الجدار القبلي ١١٠موجدار المؤخر١٠٩م وطول كل من الجدارين الشرقي والغربي ١١٦م وانه مدعوم بابراج مستديرة يصل ارتفاعها وارتفاع السور الى ٢٠م تقريبا وتنزل هذه الجدران

في الارض الى عمق اكثر من ٥.٥م. وعندما يصل الارتفاع ٢.٦م ، يرجع الجدار الى الوراء داخل المسجد تاركاً دكة مربعة عرضها ٦٠سم وارتفاعها ثلاثة امتار (٣,٧٦سم) عليها برج اسطواني، يحتوي سور المسجد على (٢٨) برج موزعة على النحو التالي: خمسة ابراج في الجدار القبلي، وسبعة ابراج في جدار المؤخرة ونفسها في جدار المجنبة الشرقي وخمسة ابراج في المجنبة الغربية وبرج واحد موزعة على اركان المسجد [٢٦]. يتضح لنا من هذا النص ان مسجد الكوفة كان يختلف عن حالته الحاضرة اختلافاً كلياً، ويشبه سائر المساجد التي شيدت في القرون الاولى للاسلام وكان باقياً على تلك الهيئة عند زيارة ابن جبير له، ويبدو ان مساحة المسجد لم تكن مكشوفة عندئذ كما هي الان بل كان وجهها القبلي به سقف عريض يستند الى خمسة صفوف من الاعمدة وفي وجهاتها الاخرى سقف اقل عرضا من ذلك محمول على خطين من الاعمدة، اما الصحن المكشوف فكان منحصراً بالساحة الباقية اذن كيف تحول المسجد من الحال الى هذه الحالة؟

لا مجال للشك ان جدران المسجد الحالية قائمة على الاسس القديمة فساحته الحالية لا تختلف عن ساحته الاصلية، ان التحول الاساسي الذي حصل في المسجد انحصر في زوايا الاعمدة والسقوف من جهة وبناء الاواوين الصغيرة المحيطة بالساحة من جهة اخرى. اما اين اثار تلك الاعمدة فهي لا شك ان اثنان منها موجودتان في الايوان الايسر الاول قرب الباب القديمة داخل المسجد، اما الثالث هي (مزولة لتحديد وقت الاذان) قرب مقام النبي يقال انها من ضمن الاعمدة الخمسة (لوح ٢) اما البقية فهي مدفونة داخل المسجد لانه دفن من قبل السيد محمد مهدي بحر العلوم عام ١١٨١م . وقد وصل الدفان الى ما يقارب خمسة او ستة امتار ووضع المحاريب فوق المحاريب الاصلية وعلى صورتها وهذا ما اكدته تقارير مديرية الاثار لعام ١٩٤٠م حيث جاء فيه:

١- ان اسس السور تنزل الى عمق اكثر من خمسة امتار ونصف.

٢- عندما يصعد الاساس الى علو قدره (٢,٦٠م) يرجع الجدار الى الوراء فيترك دكة عريضة بجانبه عرضها (٦٠سم) .

٣- يصعد اساس البرج على شكل مربع الى علو مقداره (٣,٧٦م) ثم يستدير بعد ذلك الارتفاع .

٤- ان ارضية المسجد الحالي ترتفع عن الاساس نحو اربعة امتار ونصف .

٥- واما ارضيته السفينة (صورة ٣) ، (ميضأة المسجد) وبين الطشت فتنزل عن مستوى الاسس نحو ٦٥ سم وهي عبارة عن مدخل ومنفذ لسرداب يعرف بأسم (السفينة نوح) او (التنور) ينزل اليه سلم اجري منتظم تعلوه عقادة مائلة يفضي هذا السلم الى ساحة مكشوفة مثمنة الاضلاع تعلو جدرانها الى ما فوق ارض المسجد قليلاً فتظهر من

الخارج على هيئة حوض مثمن وعلى هذا الحوض سياج حديدي يحيطه من كل جوانبه

يستدل من ذلك ان ارضية المسجد الحالية اعلى من الارضي الاصلية بثلاثة امتار على اقل تقدير[٢٧]. وتوالت التجديدات والتعمير والتغييرات العمارية على المسجد في الفترة الاخيرة بعد العمارة الايلخانية وقام بها عدد من المحسنين وعلماء دين وتولت الحكومات هذا الامر في الوقت الحاضر لما لمسجد الكوفة من اهمية روحية لدى المسلمين وسنعرضها سريعا لتعددها، ومنها ما قام بها العلامة السيد محمد مهدي بحر العلوم عام ١١٨١هـ/ ١٧٦١م، حيث بنى فيه محاريب ووضع عموداً صخرياً في محراب النبي (ص) لتعيين القبلة وهو الشاخص المعروف اليوم بـ (الرخامة) (لوح٢) وبهذا حددنا نقل احد الاعمدة ووضعه من قبل السيد محمد. كما قام الحاج الميرز ابو القاسم الكلباني عام ١٣٠٧ هـ / ١٨٧٧م بهدم قواطع الغرف التي شيدها السيد محمد وجعلها ايوانات .

ثم تلتها عمارة السيد فخر الدين ملا معطاني بهائي من بهرة الهند عام ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٦م . والعمارة التي قام بها الحاج عبد المحسن عبد شلاش ، عام ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م . هي تجديد المحراب . واجريت بعض التعميرات على مسجد الكوفة خصوصاً (باب الفيل "الثعبان") وهو المدخل الرئيسي لمسجد الكوفة . وتوسيعه وتزيينه بالكاشي والكهرباء وكانت هذه العمارة عام ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥ م وعلى حساب الدولة. كما هدمت المئذنة القديمة المؤسسة عام ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٠ م عام ١٩٥٦ وشيدت في محلها المئذنة الحالية عام ١٣٧٦ هـ /١٩٧٥ م على حساب وزارة الاوقاف . ينظر (لوح ١) . كما قامت وزارة الاوقاف عام ١٩٦٥ برصف كتيبة من السيراميك على طول الجدار القبلي لمسجد الكوفة . وكان رئيس اللجنة عبد الصاحب الغرباوي قائمقام قضاء الكوفة عام ١٩٦٥. وقام المتبرع الدكتور محمد برهان الدين زعيم طائفة البهرة عام ١٩٧٣ م ببعض الاعمار في المسجد .

وفي عصرنا اجريت بعض الترميمات وفتحت ابواب جديدة حيث تم اعادة ترميم الجدار الخارجي للمسجد ١٩٩٩– ٢٠٠٠ وقام بتنفيذها هيئة التخطيط التابعة لوزارة الاوقاف والشؤون الدينية، وتم فيها تغليف السور الخارجي بالاجر وتقوية الاسس للجدران وفتح مدخلين احدهما في السور للضلع الشمالية في نفس الموضع التي كانت فيه الباب المعروفة بباب كندة سابقا . ان جميع هذه الاعمال والترميمات قد غيرت ولا شك في شكل المسجد عماريا وتخطيطيا الا ان مديرية الاثار قد اجرت بعض الاعمال التنقيبية ووضعت لنا من خلالها مخططا للمسجد هو الاقرب للحقيقة (مخطط رقم ٢) .

العمارة الحالية للمسجد ٢٠٠٠– والعمل مستمر

قامت الدائرة الهندسية في وزارة الاوقاف والشؤون الدينية باشراف الدائرة في الهيأة العامة للاثار والتراث باعادة بناء مسجد الكوفة وفق ما كان عليه في العمارة الاخيرة التي

ذكرها المؤرخون والرحالة، وقد قامت دائرة الاثار بعمل مجسات لمعرفة صحة هذه الروايات حيث ذكر الرحالة ابن جبير ٠ حالة المسجد عام ٥٨٠ هـ / ١١٨٤م زار ابن جبير وذكر ابن جبير مشاهدته لمسجد الكوفة ووصفه بقوله (الجامع العتيق اخرها مما يلي شرقي البلد والعمارة تتصل به من جهة الشرق وهو جامع كبير ، في الجانب القبلي منه خمسة ابلطة وفي سائر الجوانب بلاطان ، وهذه البلاطات على اعمدة من السواري المصنوعة من صم الحجارة المنحوتة قطعة على قطعة مفرغة بالرصاص ولا قسي عليها ، وهي في نهاية الطول متصلة بسقف المسجد فتحار العيون في تفاوت ارتفاعها فما ارى في الارض مسجدا اطول اعمدة منه ولا اعلى سقفا . وبهذا الجامع المكرم اثار كريمة فمنها بيت بازاء المحراب على يمين المستقبل للقبلة يقال انه كان مصلى ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وعليه ستر اسود صونا له ومنه يخرج الخطيب لابسا ثياب السواد للخطبة ، فالناس يزدحمون على هذا الموضع المبارك للصلاة فيه ، وعلى مقربة منه مما يلي الجانب الايمن محراب امير المؤمنين علي بن ابي طالب {عليه الصلاة والسلام} ، وفي الزاوية من اخر هذا البلاط القبلب المتصل بالبلاط الغربي شبه مسجد صغير محلق عليه ايضا باعواد ساج .. وفي الجهة الشرقية من الجامع بيت صغير يصعد اليه فيه قبر مسلم بن عقيل {عليه السلام} ، وفي جوف الجامع على بعد يسير سقاية كبيرة من ماء الفرات فيها ثلاثة احواض كبار) [٢٨] . اما ابن بطوطة الذي زار المسجد عام ٧٢٦ هـ/١٣٢٦ م بعد ابن جبير بفترة فيذكر لنا وصفا للمسجد مطابقا لما وصفه ابن جبير الا انه يختلف معه في عدد الابلطة في بيت الصلاة فقد ذكر ان بداخله سبعة ابلطة قائمة على سواري حجارة ضخمة منحوتة وقد وضعت قطعاً ووضع بعضها على بعض وافرغت بالرصاص وهي مفرطة الطول [٢٩] .

ولعل ان هناك تجديدات واضافات حدثت بين زيارة كل من الرحالتين للمسجد لم تذكرها المصادر التاريخية . اما التخطيط الحالي للمسجد فانه يتكون من :-

يتكون من بيت للصلاة من خمسة اساكيب وسبعة عشر بلاطة ومجنبتان ومؤخرة.

ومن الملاحظ على المنجز من العمارة الحالية من حيث التخطيط يعد متطابق مما ذكره الرحالة والمؤرخين من حيث تخطيط بيت الصلاة والمجنبتان والمؤخرة الا ان هناك اختلافات في تنفيذ العمارة ومطابقتها بما كان عليه المسجد مسابقاً وتكمن هذه الاختلافات في المواد البنائية والعناصر العمارية . فمن حيث المواد البنائية استخدمت مادة الاسمنت بالدرجة الاساس في عمل هياكل ابدان الاعمدة والسقوف وتم تغليف الاعمدة الاسمنتية بالواح الرخام ليبدو ظاهرياً متطابقة مع رواه المؤرخون من شكل هذه الاعمدة بالمسجد الاول . اما السقوف فغلفت بالواح من الخشب الصاج لتبدو متطابقة ايضاً، وهذا اسلوب ربما يكون خاطئاً من حيث كونه عملاً يخص اثراً ذو اهمية تاريخية كبيرة يجب المحافظة عليها

باعتبار مسجد الكوفة اقدم المساجد الاسلامية خارج الجزيرة العربية وشاهدا اثريا مهما من شواهد العمارة الاسلامية. اما صحن مسجد الكوفة الحالي يضم وسط صحنه مبان اثرية ذات اهمية تاريخية كبيرة وهي البناء المعروف بالسفينة وعدد من المقامات .

والحقيقة ان هذا البناء (المعروف بالسفينة) قد اغلق سابقاً بمادة الاسمنت مما ادى الى تلفه وضياعه ويفترض بالعمارة الحالية وحسب المخطط المعد ان تعاد الا انه وللاسف طمرت معالمها نهائيا ودجفنت تحت ارضية المسجد الحالية واستعيض عنها برمز يضم مجموعة من صنابير المياه حيث كانت هذه البناية ميضة (نافورة) وسط المسجد وهذا العمل مخالف للتخطيط الاصلي للمسجد ومخالف لعمل الصيانة الاثرية. اما من حيث المداخل التي فتحت في العمارة السابقة التي اجريت عام (١٩٩٩) من قبل وزارة الاوقاف العراقية حيث فتحت باب في الجهة الغربية للمسجد على اعتبار انها باب كندة ، واغلاق الباب المؤدية الى مرقد ضريح (مسلم بن عقيل) "عليه السلام" من بيت الصلاة في المسجد وعملية الهدم والبناء في السور تؤدي الى خلخلة البناء وضعفه. كما اضيفت حاليا ماذنتان للمسجد بارتفاع حوالي ٣٠،٨٠م (صورة ٤) وهي ذات طراز غريب عماريا عن طرز بناء الماذن العراقية فهي ذات اشكال مربعة متدرجة وهذا النمط استخدم في ماذن المغرب العربي وبعض الماذن في مصر ولم يستخدم في العمارة العراقية وخصوصا في وسط وجنوب العراق ، اضافة الى انها تمثل كتلة بنائية ضخمة على الجدران مما انها ربما تؤدي بمرور الزمن الى تشقق جدران المسجد وتصدعها . وشرفت نهايات جدران المسجد المطلة على الصحن بشرفات متدرجة وهذه مضافة الى المسجد اذ لم يذكر ان مسجد الكوفة كانت جدرانه مشرفة بشرفات (صورة ٥) .

واستخدمت في تزيين واجهات المداخل اقواس مفصصة وهذا النوع من الاقواس لم تكن موجودة في مسجد الكوفة وانما وضعت اجتهادا من المصممين (صورة ٦). اما ارضية المسجد فمن المعروف ان ارضية المساجد وخصوصا مسجد الكوفة مغطاة بالرمل وقد ذكرت المصادر التاريخية اشارات الى ذلك وبقي كذلك حتى العمارة الاخيرة حيث رصفت الارضية بالمرمر وهذا مخالف لشروط الصيانة الاثرية . اما المقامات فقد ازيلت مبانيها ودل عليها بالواح او شواهد من الرخام كتب عليها اسماء المقامات . ان هذه التحويرات في شكل المسجد ومخالفتها للروايات التاريخية التي كان من المفترض اتباعها في اعادة اعمار المسجد واصلاح الاخطاء التي حدثت من جراء الاعمال السابقة الا انها كانت اكثر خطا مما ادى الى ضياع القيمة التاريخية للمسجد وعده من المساجد المنشاة حديثا لضياع معالم التاريخ منه .

الصور والمخططات

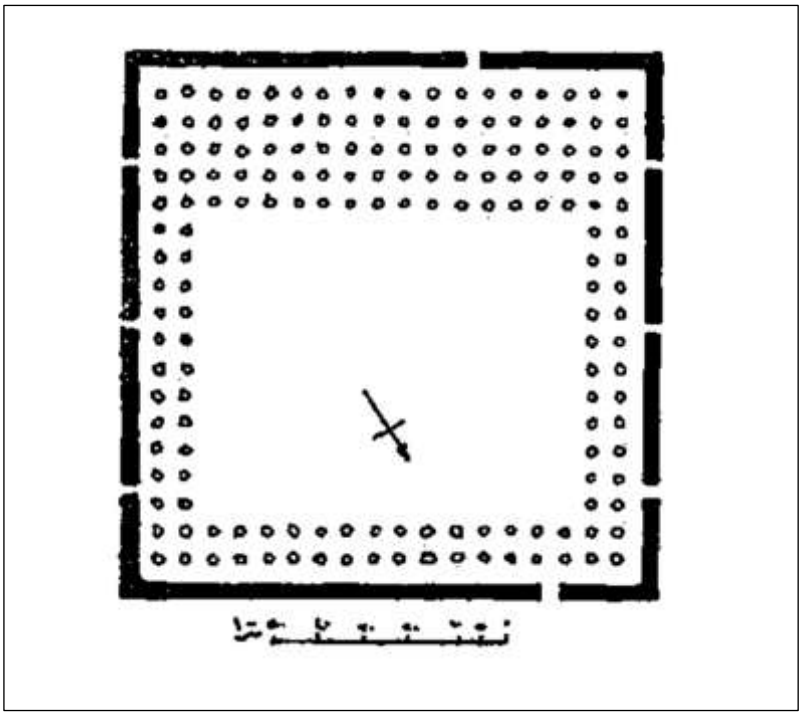

مخطط رقم ١

مسجد الكوفة في عهد زياد

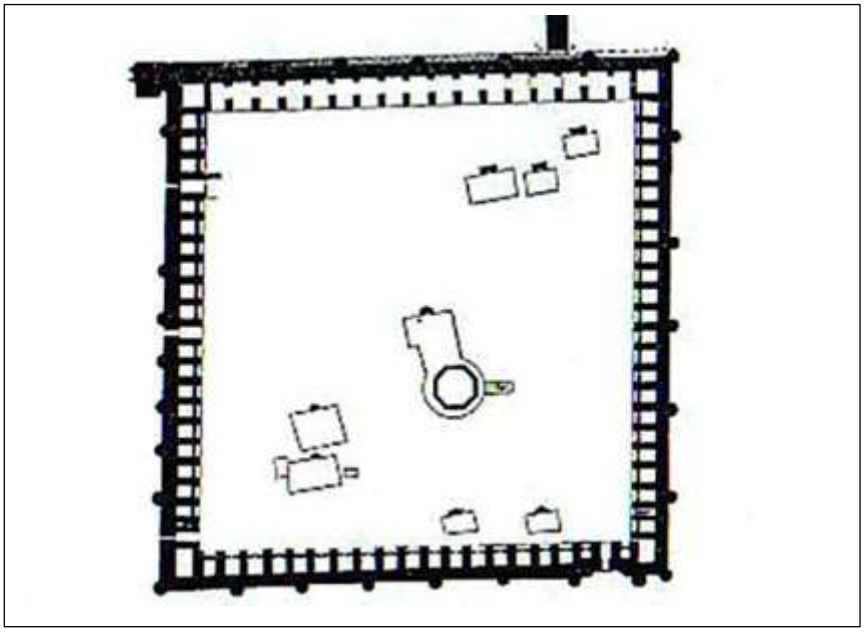

مخطط رقم ٢

مسجد الكوفة كما دل عليه البحث الاثري

صورة رقم ١

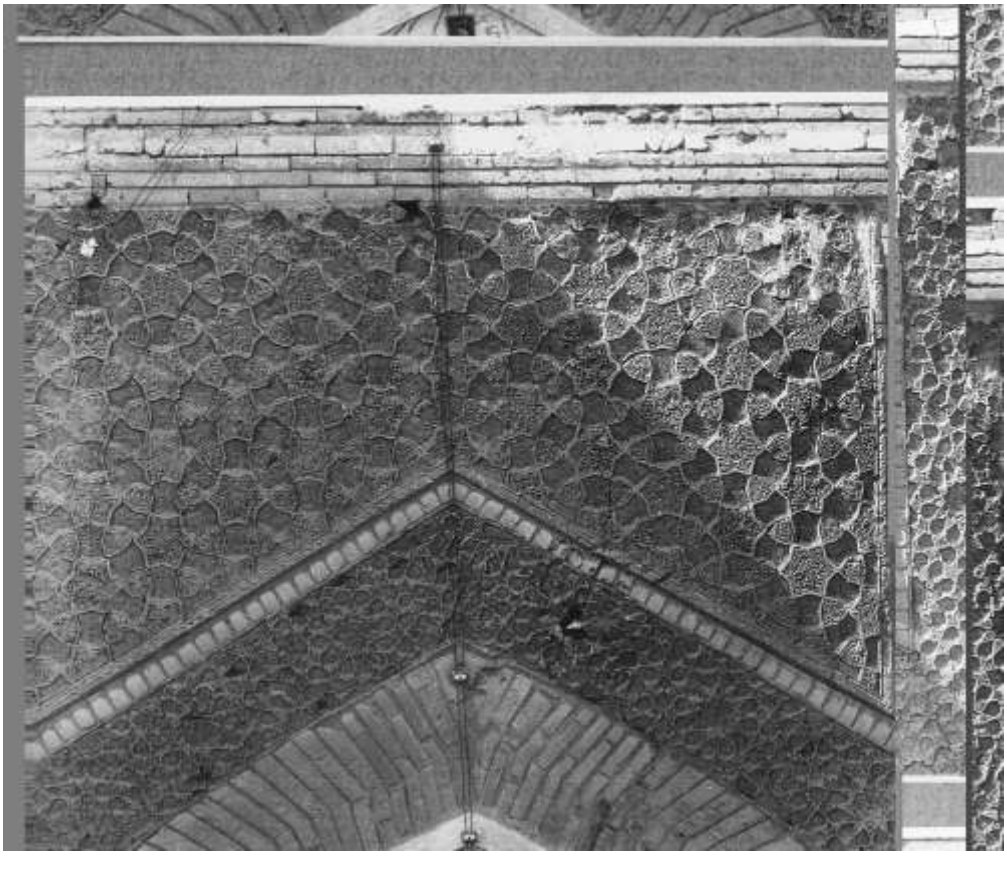

صورة رقم ٢

صورة رقم ٣

مبنى السفينة من الداخل

صورة رقم ٤

صورة رقم ٥

صورة رقم ٦

هوامش البحث :

(١) الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ، معجم البلدان ، مطبعة مصر ١٩٠٦ ، ج٧ ، ص٢٩٦ .

(٢) البلاذري ، ابو الحسن احمد بن يحيى ، فتوح البلدان ، (القاهرة ، ١٩٣٢م) ، ص ٢٧٤ .

(٣) الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الامم والملوك ، حوادث سنة ١٤ هـ .

(٤) الحكيم ، د. حسن عيسى ، محاضرات في مادة تخطيط مدن إسلامية ، ألقيت على طلبة الدراسات العليا – ماجستير ، كلية الآداب ، ٣/١٩/ ٢٠٠١ .

(٥) الطبري ، حوادث سنة ١٧ هـ .

(٦) الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

(٧) اليعقوبي ، احمد بن واضح ، تاريخ اليعقوبي ،(النجف الاشرف)، ج٢ ، ص ٩٦ .

(٨) البلاذري ، المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

(٩) الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

(١٠) الحكيم ، المصدر السابق .

(١١) الجنابي ، كاظم ، تخطيط مدينة الكوفة عن المصادر التاريخية والاثرية خاصة في العصر الاموي ، الطبعة الاولى ، مطابع دار الجمهورية (بغداد ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م) ، ص١١٠ .

(١٢) الطبري ، المصدر السابق ، حوادث سنة ١٧ .

(١٣) الجنابي ، تخطيط مدينة الكوفة ، مصدر سابق ، ص١١٠.

(١٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، مصدر سابق ، ص٢٧٥.

(١٥) الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، مطبعة مصر (القاهرة ، ١٩٠٦م) ، ج١، ص٢٩٧.

(١٦) البلاذري ، فتوح الببلدان ، مصدر سابق ، ص٢٧٥.

(١٧) المصدر نفسه .

(١٨) الطبري ، المصدر السابق ، حوادث سنة ١٧هـ .

(١٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص٢٧٦.

(٢٠) الطبري ، المصدر السابق ، حوادث سنة ٥٠هـ .

(٢١) الحموي ، معجم البلدان ، مصدر سابق ، ج٧، ص٢٩٩.

(٢٢) دفن هذا التاجان تحت ارضية المسجد الجديدة اثناء العمارة الحالية كغيرهما من الشواهد الاثرية الاخرى .

(٢٣) بصمجي ، فرج ، كنوز المتحف العراقي ، مديرية الاثار العامة (بغداد ، ١٩٧٢م) ، ص٧٩.

(٢٣) سلمان ، عيسى ، واخرون ، العمارات العربية الاسلامية في العراق ، ج١ ، ص٦٢.

[٢٥] يرى الدتور كاظم الجنابي ان الاجر الذي بني به المسجد صنع خاصة له ولم ينقل من مكان اخر . ويؤيده الاستاذ الدكتور غازي رجب المختص في العمارة الاسلامية .

– الجنابي ، تخطيط مدينة الكوفة مصدر سابق ، ص١٢٩.

– محمد ، غازي رجب ، العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق ، مطبعة التعليم العالي (بغداد ، ١٩٨٩م) ، ص٢٨ .

[٢٦] الجنابي ، تخطيط مدينة الكوفة مصدر سابق ، ص١٢٤–١٢٩.

[٢٧] الجنابي ، كاظم ، مسجد الكوفة ، منشورات مديرية الاثار العامة ، ص١٠.

[٢٨] ابن جبير ، ابو الحسن محمد بن احمد الكناني الاندلسي الشاطي البلنسي ، الرحلة ، ص١٩٧ وما بعدها.

[٢٩] ابن بطوطة ، شرف الدين أبو عبد الله (٧١٧هـ) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار ،(القاهرة ، ١٩٣٩م) ج١ ، ص١٣٧ وما بعدها .